مجلة الدراسات التربوية والعلمية - كلية التربية - الجامعة العراقية
مؤتمر اللغة العربية وآدابها الدولي الثاني // أربيل 30 - 31 / 7 / 2025
doi.org/10.52866/esj.2025.13

الهوية والاعتراف
في روايات (سنان أنطون)

م .م . يوسف سعد خليف
الجامعة العراقية - كلية التربية - قسم اللغة العربية

مستخلص :

فككت روايات (سنان أنطون) سردًا اشكاليات الهوية في المجتمع العراقي ، وقد استكشفنا من خلاله تمثلات الهوية في الرواية بما يناظرها في الخارج ، وقد نقلها الروائي وفقًا لمنظوره الايديولوجي ، من خلال الشخصيات التي اختارها ، ورسمها رسمًا يوافق ذلك ، فكان في بعضها قريبًا من الواقع ، وفي أحايين منها يغرب بعيدًا ، وهذا ما وضحناه في المطلب الثاني من هذا البحث الذي خصص لدراسة (الاعتراف) وبيَّنا ارتباطه الوثيق بالهوية ؛ إذ يمثل وجوده عاملًا إيجابيًا في تحقيق السلم والاستقرار الاجتماعي.

الكلمات المفتاحية : الهوية والاعتراف ، النقد الثقافي ، الآخر ، الصورولوجيا ، الرواية العراقية، (سنان أنطون) .

Sinan Antoon's novels narratively deconstruct the issues of identity in Iraqi society. Through him , we explored the representations of identity in the novel in relation to their external counterparts. The novelist conveyed this identity according to his ideological perspective, through the characters he chose and depicted in a manner that suited this. In some cases, it was close to reality, while at other times, it seemed to drift away. This is what we explained in the second section of this research, which was devoted to studying "recognition." We demonstrated its close connection to identity, as its presence represents a positive factor in achieving peace and social stability.

Keywords: identity and recognition, cultural criticism, the other, imagology, the Iraqi novel, Sinan Antoon.

المقدمة :

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه ومن والاه ، أما بعد :

فقد تتبع هذا البحث بالدراسة موضوع (الهوية والاعتراف في روايات سنان أنطون) الذي بين لنا سردًا طريقة تقديمه للهويات ووجهات نظرها ، فكانت تمثلات الهوية متعددة بتعددها في المجتمع العراقي الغني بتنوعه الديني والعرقي ، وقد اقتضت طبيعة البحث أن أقسمه على مبحثين خصص الأول لدراسة (الهوية وتمثلاتها في روايات سنان أنطون) ؛ وقد عرفنا من خلاله مصطلح الهوية ، وتتبعنا تمثلاتها في رواياته ، وكانت على النحو الآتي: (الهوية الوطنية) في الشخصيات التي تُغلِّب هويتها الوطنية على هويتها الفرعية ، فتكون هذه الهوية متصالحة مع باقي الهويات التي يتألف منها المجتمع، ويقابل الهوية الوطنية ما يمكن أن نسميه (الهوية المضادة) التي تحمل صورًا نمطية سلبية للآخر، وغالبًا ما تكون منشقة عن باقي هويات المجتمع؛ قاطعةً كل اتصال اجتماعي مع الآخر لأسباب تعود إلى التفكير الطائفي الضيق، ومن التمثلات التي تعرض لها البحث بالدراسة (الهوية المهمشة والمضطهدة) التي تغلب عليها الشكوى، والاحساس بالاضطهاد، فتكون منصاعة للمجتمع محاولة التخلص من كل ما يشي بالاختلاف مع الآخر في ظل التوتر الأمني وتصاعد أعمال العنف والتهديد بحقها ، أما المبحث الثاني فقد خصص لدراسة (الاعتراف وتمثلاته في روايات سنان أنطون) ، فكان المطلب الأول مخصصًا لدراسة مصطلح الاعتراف في اللغة والاصطلاح، وخصص المطلب الثاني لدراسة (الصراع من اجل الاعتراف) وفقًا لـ(أكسل هونيث) الذي قسم الاعتراف إلى عاطفي (الحب) يشعر فيه الفرد بالتقبل من قبل الآخر ، ويكون ضروريًا لبناء الذات يشعره بقيمته عند الآخرين ، وفيه يتخلص المجتمع من مشاعر الكراهية تجاه الآخر ، وفي حالة انعدامه يكون الفرد معرضًا للإذلال ، وما قد يرافقه من قسوة وتعذيب وسلب للحرية ، والاعتراف القانوني ، أي أن يقف الجميع أمام القانون سواسية من دون تفريق ولا تمييز ، وأن لا يحرم الفرد حقوقه التي يتمتع بها غيره أمام القانون، أما الثالث فهو الاعتراف الاجتماعي الذي يتمثل بالتقدير الاجتماعي ، وتحقق القيمة الاجتماعية لقدراتهم الشخصية ، والمشاركة الفاعلة في المجتمع، أما المطلب الثالث فقد خصص لدراسة ما اطلقنا عليه (الاعتراف الموضوعي) ويقصد به انصاف الآخر ، بدلًا من التحامل عليه، وتشويه صورته من خلال تنميطها خلافًا لما هي عليه في الواقع، وخصص المطلب الرابع لدراسة (إشكالية الاعتراف) في روايات (سنان أنطون)، وفيه تناولنا ما أطلقنا عليه (الاعتراف الزائف) الذي يظهر فيه المعترف تعاطفه مع هوية معينة إلا انه يستثني منها صفات قد تشمل الهوية بأكملها، وقد تمثل هذا بطريقة اختيار الشخصيات الايجابية من هذه الهوية بما يتماشى مع هوى الكاتب، فعندما يختار من الهوية الاسلامية شخصيات ايجابية وطنية ، يجعلها يسارية لا دينية ، تفعل كل ما ينافي التعاليم الاسلامية، أما إذا اختار من هذه الهوية الاسلامية شخصيات لروايته فيجعلها سلبية، فنجدها شخصيات سارقة ومجرمة وارهابية الى غيرها من الصفات التي تتفرع منها؛ كأن يكونوا اصحاب كروش وحواجب غليظة، ووجوه عابسة، ولا يلتفت إليها إلا بهذه الصفات السيئة ، فأي أثر إيجابي تتركه أعماله التي

تساعد على تنميط صورة سلبية عن المسلمين ، وتعزز الكراهية تجاههم ، وتنبذهم من المجتمع .

مشكلة البحث :

يتناول البحث اشكالية الهوية في الرواية التي تتمثل بالطريقة التي يتعامل بها الروائي مع هذا الموضوع الخطير ، الأمر الذي يحتم عليه أي الروائي – أن يكون حذرًا في اختيار شخصياته ورسمها رسما ايجابيًا لا يستثني أحدًا من ذلك بأي حال من الأحوال، وإن كان مختلفًا معه فكريًا، كما تناول بالدراسة (الاعتراف) الذي يعد حضوره في الرواية والمجتمع عاملًا إيجابيًا في نهضة البلاد واستقرارها، وقد ناقشنا هذا الموضوع من خلال (الصراع من أجل الاعتراف) عند اكسل هونيث، و(الفضاء العمومي) عند (هابرماس) ، و(المثقف العضوي) عند غرامشي .

أهداف البحث :

الاسهام في فهم موضوع الهوية، ومناقشة اشكالياته من خلال الرواية العراقية، والوصول إلى نتائج تساعد على تشخيص الواقع تشخيصًا سليمًا بعيدًا عن الأحكام المسبقة، والصور النمطية الصادرة عن رؤية الانسان غير المثقف للحياة، فالهوية تشكل من قبل الانا، أما الآخر فليس له تشذيبها وتحديد الجيد منها أو السيء وفقًا لتصوراته.

خطة البحث :

قسمت الدراسة على مبحثين رئيسيين :

المبحث الاول: الهوية وتمثلاتها في روايات (سنان أنطون) .

اولاً– في مصطلح الهوية . ثانيا تمثلات الهوية :

أ. الهوية الوطنية .

ب. الهوية المهمشة والمضطهدة. ج: الهوية المضادة

المبحث الثاني : الاعتراف وتمثلاته في روايات (سنان أنطون) :

اولاً – في مصطلح الاعتراف .

ثانياً – الصراع من اجل الاعتراف .

ثالثاً– الاعتراف الموضوعي .

رابعاً– اشكالية الاعتراف في روايات (سنان أنطون) ، تأتي بعدها الخاتمة وأهم النتائج، وقائمة بأهم المصادر والمراجع.

المبحث الأول – الهوية وتمثلاتها في روايات (سنان أنطون) :

أولاً– في مصطلح الهوية :

للهُوية أو الهَوية في اللغة العربية عدة معان ، منها ما يدل على: ((الحُفْرة البَعِيدَةُ الْقَعْر))[1]، وقد أُبعِدت عن المعنى الاصطلاحي، لعدم مطابقتها للمعنى الحقيقي ، لذلك لم يجيزوا نطق الهَوية بفتح الهاء ، لأنها ستكون بذلك مأخوذة من الـ(هُوَّة) ، ولهذا المعنى المستبعد تعليل قد يجعله صوابًا ، فلو اخذنا (الهَوِيّةُ) وهي: ((موضعٌ يَهْوِي مَنْ عَلَيْهِ أَي يَسْقُط))[2]، لوجدنا فيه معنى قريبًا إلى الهوية بمعناها الحالي؛ لما يحمله هذا المعنى من دلالة تحيلنا إلى المثل المشهور بين العرب وهو قولهم (الطيور على أشكالها تقع)، فهذا الوقوع في المثل يحمل دلالة التشابه الذي يعد من أهم أركان الهوية التي تقوم على المشابهة والاختلاف، أما المعنى الآخر فمأخوذ من (هُو) بضم الهاء التي تدل على ضمير الغائب، وهذا الاشتقاق هو الأقرب إلى القبول، لما يحمله من معنى تحديد الشيء بجوهره، فالهوية بذلك

(1) لسان العرب ، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت 711هـ) ، دار صادر – بيروت ، ط3 1414 : 15 / 374 .

(2) المصدر نفسه : 6 / 316 .

((مأخوذة من (هو .. هو) بمعنى أنها جوهر الشيء وحقيقته))[3] ، وهي بهذا التعريف تميز الـ(نحن) عن (الآخر) بما يحمله من جوهر يميزه عن غيره من الهويات الأخرى ، وهذا ما نبحث عنه عند تتبعنا للتشابه والاختلاف عند تحديد الهوية .

وقد حدد (مايك كرانغ) الهوية ((من طريق نقيض ما نحن عليه ، بقدر ما يمكن تحديدها من طريق من نحن))[4]، وهذا التعريف يحيلنا أيضا إلى التشابه والاختلاف ، فيكون بذلك مدار البحث في الهوية قائم على ما يميز هذه الهوية عن غيرها من الهويات ، وما تحمله من تشابه يجعلها هوية مميزة عن غيرها، والهوية عند محمد عمارة: ((الثوابت التي تتجدد ولا تتغير ، تتجلى وتفصح عن ذاتها دون ان تخلي مكانها لنقيضها ، طالما بقيت الذات على قيد الحياة ، إنها كالبصمة بالنسبة للإنسان ، يتميز بها عن غيره ، وتتجدد فاعليتها، ويتجلى وجهها كلما أزيلت من فوقها طوارئ الطمس والحجب ، دون أن تخلي مكانها ومكانتها لغيرها من البصمات))[5]، ومسالة الطمس هذه أو الحجب سنجدها حاضرة في إشكالية الهوية في حال أزمتها في مواجهة الآخر غير المعترف بكيانها واستقلاليتها.

وهذه المميزات والخصائص التي تميز مجموعة اجتماعية عن أخرى ، قد تكون في اللغة أو في الدين أو في العرق ، أو في الأرض الجغرافية بما تتضمنه من تاريخ مشترك وثقافة عامة مشتركة قد يكون سكانها متنوعين عرقيًا وثقافيًا ودينيًا ، فيكون الرابط بينهم الارض بما تحمله من تاريخ مشترك وثقافة عامة مشتركة ، ويكون تعدد الهويات بتعدد هذه المميزات ، فإذا كان تحديد التشابه والاختلاف على أساس ديني تكون بذلك الهوية دينية ، أما إذا كانت تقوم على أساس الدم فهي هوية قومية، ومن المحتمل أن ينتمي الانسان إلى أكثر من هوية وفقًا لهذه الاعتبارات، وتقوى هذه الهويات في نفس الفرد بقدر تغليب أي منها على غيرها ، فقد ينفتح على الدين على حساب القومية ، وقد ينفتح على القومية على حساب الهويات الأخرى ، ويكون ذلك بحسب الظروف الاجتماعية أو الفردية أو السياسية وما يرافقها من محركات خارجية ، وتنشا أزمة الهوية من تغليب الهوية الفرعية على الأم ، أو الانفتاح بها خارجيًا فتكون بذلك الهوية الفرعية تابعة لهويات خارجية تتقاطع مصالحها مع مصالح الهوية الوطنية ، أو بسبب الصراع الطائفي الذي يحفز الهويات التي تمثل أقلية في بلادها على الهجرة إلى خارج الوطن والارتباط بهوية تماثلها ، وعلى الأغلب يكون هذا التماثل دينيًا ، او ايديولوجيا ، ويظل صمام الامان التمسك بـ(الهوية الوطنية) التي لا تلغي الاعتزاز والتمسك بالهويات الفرعية دون إنكار حق الاخرين في الاعتزاز بهوياتهم وممارسة طقوسهم وما تمليه عليهم ثقافاتهم من زي ولغة ، فيكون التعدد عاملًا ايجابيًا يوظف في خدمة البلد بدلًا من أن يكون وبالًا عليه.

ثانياً – تمثلات الهوية في روايات (سنان أنطون) :

عكست روايات انطون تحولات المجتمع العراقي، وما رافقها من تصدع في نسيجه

(3) الهوية الاسلامية، الشيخ الدكتور: جاسم بن محمد بن المهلهل الياسين ، شركة السماحة للطباعة والنشر والتوزيع، الكويت، ط1، 2012 : 9.

(4) الجغرافيا البشرية (أهمية الجغرافيا في تفسير الظواهر البشرية)، مايك كرانغ ، تر: سعيد منتاق، عالم المعرفة، الكويت : 89 .

(5) مخاطر العولمة على الهوِيَّة الثقافية ، محمد عمارة ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1999، 6.

الاجتماعي جراء الاقتتال الطائفي ، وقد رصد (سنان أنطون) تمثلاتها المتعددة في المجتمع ، فكانت تتراوح بين الهوية الوطنية المتصالحة التي لا تنجر خلف شعارات تدعو الى التفتت وكره الاخر واقصائه وقد مثلها بشخصية (يوسف) في رواية (يا مريم) وشخصية (جواد) في رواية (وحدها شجرة الرمان) وشخصية (نمير) في رواية (فهرس)، كما أنه رصد التمثل السلبي للهوية الذي تمثل بالهوية المنشقة غير الوطنية ، وسبب الانشقاق جاء ردًا على الإقصاء والتهميش والقتل الذي نالها في بلدها ومثال هذا النوع من التمثلات نجده في شخصيتي (مها) و(لؤي) في رواية (يا مريم)، وهناك الهوية التي تخندقت داخل هويتها واعلنت الحرب على الهويات الأخرى كشخصية الشيخ الذي دعا الى تهجير المسيحيين من الدورة، وشخصية (أم (جواد) في رواية (وحدها شجرة الرمان) وشخصية (عدنان) في رواية (فهرس)، وهناك الهوية غير المتسامحة ثقافيًا كشخصية (حنة) التي ترفض الآخر اجتماعيًا، ويضاف الى ذلك الهوية المضطهدة او المهمشة مثل شخصية (فرات) ، كما أن البحث رصد الهوية المضادة من خلال الصورة النمطية التي تختزنها كل هوية للهويات الأخرى بدافع التشويه ، أو بسبب الجهل .

أ- الهوية الوطنية (المتصالحة):

هي تلك الهوية التي تتصالح مع الاخر وتنفتح عليه، وتتقبل التنوع والاختلاف، ولا تعده خطرًا عليها، كما أننا نجدها ترى الأخطاء والعيوب في هويتها كما تراها في الهويات الأخرى، وهذه الهوية ليس بالضرورة أنها لا تتعرض للتهميش والاضطهاد، ولكنها تفكك الاشكاليات التي يثيرها الواقع، وتبحث دائمًا عن المقومات المشتركة ، وترفض التعميمات والأحكام السريعة ، وبالأخص في ظل انفتاح الحدود ، وتلاعب الدول المجاورة بأمن البلاد واستقراره.

تمثلت الهوية الوطنية عند (سنان أنطون) في عدة محاور ، منها تفكيك الخطاب الطائفي ، ومحاولة فهمه، وكشف مغالطاته ، وعرضها على الواقع ، وهذا ما بدا في عدة مواضع من الرواية ، من ذلك قراءة (يوسف) لقضية تهجير المسيحيين قراءة مبنية على المنطق بعيدًا عن التفسيرات الطائفية التي يتداولها الشارع ، وجاء رده على (مها) التي قرأت الواقع قراءة عاطفية قاصرة: ((بابا موضوع اليهود غير شكل ، موضوع معقد دخلت بينو اسرائيل عالخط وحكومة العهد البائد كانت متآمرة وصار اسقاط جنسية وقصة طويلة عريضة)) ، فالتهجير الذي طال اليهود سببه اليهود انفسهم ومن وقف الى جانبهم لتنفيذه ، لتحقيق الحلم اليهودي [6].

ومن القضايا التي عملت الرواية على تفكيكها وفهمها قضية الطائفية التي انتشرت بعد الاحتلال، والرجوع بها إلى جذورها الحقيقية ؛ على لسان سعدون صديق (يوسف) الذي أشار إلى قصيدة الجواهري التي عبرت عنها تعبيرًا دقيقًا ، وناقشتها نقاشًا وطنيًا بعيدًا عن التحيزات لواحدة من هذه الهويات على حساب الأخرى ، والقصيدة التي ذكرها [7] :

أيْ طرطرا تطرطري تقدَّمي تأخَّري
تَشيَّعي تسنَّني تَهوَّدي تَنصَّري
تكرَّدي تَعرَّبي تهاتري بالعُنصرِ

وما يريد أن يصل اليه الروائي ويناقشه أن الطائفية موجودة ، ولكن المستجد هو ما حدث

(6) يا مريم، (سنان أنطون)، منشورات الجمل، بيروت، ط1، 2012 : 25 .
(7) يا مريم : 78 .

في زمن الطائفية من قتل على الهوية راح ضحيته الالاف من الابرياء .

وقد وظف الروائي الحجاج ، لرفض الطائفية والتمسك بالهوية الوطنية التي اختفت ملامحها في زحام القتل الذي غطى على أصوات الوطنيين ، فالشخصيات التي تمثل الهوية الوطنية في روايات سنان انطون؛ تعمل في المجتمع عمل المثقف العضوي الذي يفند الحجاج الطائفي المستشري بين الطوائف في زمن الفتنة، ومن ذلك الحجاج الطائفي المنشورات التي وجهت للهوية المسيحية لتشعرهم أنهم مستهدفون، كما جاء على لسان (مها) ((الاسلام ميريدونا بكل بساطة علمود يظل البلد بس الهم))[8]، هذه المقولة الطائفية فندها (يوسف) بقوله العراق: ((بلدنا وبلد اجدادنا احنا قبل غيرنا))[9]، وقد وظف النخلة رمزًا للوطن التي هي صنو العراق، وقد غطت مساحة واسعة ومهمة من روايته (يا مريم) ، ووصفه مصافحة النخلة للصليب يمثل ذروة الاندماج بالوطن، فالنخلة هي العراق والصليب هو الهوية المسيحية، واسم الرواية (يا مريم)، التي اعطت دلالة اللجوء إلى مريم للخلاص ، وطلب النجاة من الاحداث الجسام التي مرت بها هويات العراق، كل هذه الاشارات تدل على الاعتزاز بالهوية المسيحية في اطار الهوية الأكبر (العراق) ، وقد أبرز الروائي الهوية المتصالحة من خلال الحوار الذي دار بين (يوسف) والشرطي الذي سأل (يوسف) عن هويته قبل دخوله الكنيسة فأجابه : ((انني مسيحي)) ، يقابله جواب الشرطي ((باحترام : «تفضل اخي»))، يعززها قول أفراد الشرطة في نهاية الرواية بعد التفجير الذي طال الكنيسة ((احنه اخوتكم عراقيين))[10]، ليجعل نهاية روايته انتصارًا للهوية الأم على الهويات الفرعية [11].

كما وظف الحجاج للرد على من يريد تعميم الطائفية على الهوية المقابلة ، فالصحيح انها مقصورة على عدد معين من المرتزقة والمجرمين ، أما الاكثرية فيمثلهم اولئك ((الذين قفزوا الى النهر كي ينقذوا الشيعة الذين سقطوا في حادثة جسر الائمة)) [12] ، كما أن القتل لم يكن مقتصرا على جهة دون الاخرى كما تقول أم (جواد) ، وذكرها ابنها ((بالمليشيات التي أحرقت جوامع السنة ، وبالسجون السرية ، وقصص التعذيب بالثاقب الكهربائي))[13] .

وللهوية الوطنية عدة تمثلات في روايات انطون، منها رفض الهجرة والبقاء في الوطن والموت فيه كما فعل (يوسف) الذي كانت نهايته الموت في انفجار كنيسة النجاة ، ومنها الدعوة الى الوحدة الوطنية ونبذ الطائفية، ورفض قيام الحكم على اساس طائفي، كما فعل صبري عندما انسحب من الحزب الشيوعي الذي بدأ يتناغم مع الخطاب الطائفي للوصول الى السلطة وتحقيق مكاسب سياسية ومالية [14]، كما مثلها من خلال رفض التقسيم الطائفي للمجتمع، وجاء هذا على لسان نمير الذي رفض أن يجيب عن سؤال أنت سني أم شيعي ؟ ، فكان جوابه لا هذا ولا هذا [15]، ورفض التخندق الطائفي ، ونبذ

(8) المصدر نفسه : 26 .
(9) المصدر نفسه : 26 .
(10) المصدر نفسه : 148 .
(11) المصدر نفسه : 96 .
(12) وحدها شجرة الرمان ، سنان أنطون، منشورات الجمل ، بيروت – بغداد، ط1 ، 2013 : 209 .
(13) المصدر نفسه : 209 .
(14) المصدر نفسه : 127 .
(15) فهرس ، سنان أنطون، منشورات الجمل ، بيروت – بغداد ، ط1 ، 2016 : 248 .

العنف والقتل أيا كان مصدره ، وعدم الانجرار خلف اللافتات الطائفية التي تخندق خلفها من انطلت عليهم حيلها ، فعندما سمع (جواد) السيد الفرطوسي يقول ((حتى الميت ما يسلم منهم))[16]؛ قال: ((استوقفتني الـ(هم) التي استخدمها والتي يستخدمها الجميع هذه الايام للإشارة الى الطرف الاخر))[17] ، وقد كان لـ(جواد) موقف وطني نابع من انسانيته التي تحتم عليه التعاطف مع الجميع ، ووطنيته التي يرى من خلالها الجميع بعين واحدة ، ويوافقه في الرأي غيداء التي لم تكن مثل أمه وأمها ((في لوم السنة على كل شيء))[18] .

ومن صور الوحدة الوطنية التي تعبر عن تماسك المجتمع العراقي، موقف شرائح المجتمع المختلفة من تهجير اليهود من العراق في الخمسينات، استرجعها الروائي من خلال شخصية نسيم اليهودي الذي تربطه علاقة حب واحترام مع اصدقائه وجيرانه من كل الطوائف، فقد هاجر من العراق بسبب رسائل التهديد، وقد استخدم نسيم جملة ابيه ((إنها غيمة عابرة وأنهم سيظلون في العراق))[19] لتدل على تمسكهم بهويتهم الوطنية ، ويدل تفاعل اصدقائه معه على التآلف بين الهويات في ذلك الزمن، وأن الفتنة تأتي من الخارج بقوله ((تبين فيما بعد بأن عصابات صهيونية كانت قد نفذتها))[20]، واستخدام الروائي شخصية تعيد ذكرياتها من الخمسينات عن الطائفية ؛ حيلة فنية منه لكي يعرض مساحة أكبر من تاريخ العراق مع السلم والحرب ، السلم الذي مثله تآخي هويات الشعب المختلفة (سعدون) المسلم السني ، مع (سالم حسين) المسلم الشيعي مع (نسيم) اليهودي ، مع ((يوسف)) المسيحي .

ختامًا ، مما يؤخذ على (سنان أنطون) أن ابطاله الوطنيين كلهم ملحدون ، وقد جعلهم يحملون سمات الهوية الوطنية الصالحة ، أنشأهم إنشاءً ، أما السلبيون فهم الاسلاميون والمحافظون على التقاليد الاجتماعية المتحجرة - حسب رأيه - كما فعل مع والد دلال الذي رفض تزويج ابنته لمسيحي ، وقد تجاهل الروائي أن القانون العراقي ، والشرع الاسلامي يمنع ذلك ، وغيداء التي كانت تحافظ على عذريتها عند ممارستها الجنس مع (جواد) بدافع الخلاص من سلطة المجتمع المتخلف ، وليس من أجل أن تحافظ على شرفها لزوجها.

ب- الهوية المهمشة والمضطهدة :

تنطلق الرواية من مسايرة الواقع وما يجري في الساحة من متغيرات ومستجدات ، وكان من هذه المستجدات ذلك الاحتدام الطائفي الذي قسم الشعب إلى هويات متصارعة ، وبطبيعة الحال هذه الهويات تختلف من حيث العدد والقوة فيكون المتضرر الأكبر الأقليات التي بدأ خطاب الاضطهاد واضحًا في خطاباتها ، ومن هذه الهويات الهوية المسيحية التي تمثلت في عدة شخصيات في أعمال (سنان أنطون)، وقد حاولت هذه الشخصيات أن تظهر معاناتها وما تتعرض له من تمييز عنصري، وما تتعرض له من تهميش، وكان الإحساس بالضياع هو الإحساس الطاغي على هذه الهويات التي بدأت تنفصل عن المجتمع الذي تعيش فيه .

من مظاهر التهميش والاضطهاد : طمس الهوية الذي من الممكن أن نعرفه بأنه تعرض هوية من هويات المجتمع إلى ظروف تجبرها على الاندماج في

(16) وحدها شجرة الرمان : 162 .
(17) المصدر نفسه : 163.
(18) المصدر نفسه : 298 .
(19) يا مريم : 43 .
(20) يا مريم : 25 .

هوية أخرى ، والتخلي عن بعض أو كل ما يجعلها مختلفة عن الآخر إرضاء للثقافة السائدة ؛ ولتفادي ردود الأفعال التي يسببها هذا الاختلاف ؛ تندمج الهوية في الهويات الأكثر قبولًا في المجتمع وتتماهى معها ظاهريًا أو كليًا، فيشعر الفرد بأنه لا ينتمي إلى البلد الذي يمتلك فيه تاريخًا موغلًا في القدم .

يعود طمس الهويات في العراق الذي تحدثت عنه الرواية العراقية إلى عدة أسباب منها صعود الفصائل المسلحة التي تسير على أجندة خارجية برعاية الاحتلال لتجزئة الشعب، ومنها عدم الاعتراف بهوية الآخر وطقوسه الدينية بِعدِّها منافية لدين النحن الذين وضعوا معيارًا لقياس الصح والخطأ ، وهذه المعيارية من أهم الأسباب التي تقف وراء التهميش ورفض الاخر المختلف.

ومن مخاطر طمس الهويات القضاء على الاختلاف الأمر الذي يؤدي إلى الواحدية في التفكير، والواحدية في الثقافة فيفقد المجتمع جماليته التي يكتسبها بفعل التنوع ، فجمال شعوب العالم يتحقق بما تمتلكه من ثقافات متنوعة تغذي الإحساس بالجمال كما تغذي العقل بالأفكار المختلفة والمغايرة ، وخير دليل على ذلك ما حدث من نهضة ثقافية في المجتمع العربي والاسلامي في القرن الثالث الهجري ؛ كانت بفعل المناظرات والمناقشات بين أصحاب الملل المختلفة مما أدى إلى تلاقح للأفكار من غير تدخلات خارجية تخرج الامور من مسارها الصحيح إلى ما لا يحمد عقباه، كما أن نهضة العرب -أي الأدبية- في العصر الحديث قامت على الأفكار الجديدة التي جاءت من الغرب، ومن ذلك الأفكار التي جاء بها طه حسين فحركت ما ركد من مياه الثقافة العربية ، واحتدمت النقاشات بسببها ، فساعدت على خلق جو علمي أشعل نار العلم والمعرفة ؛ بغض النظر عن أصالتها أو صحتها .

إن الاختلاف الذي يعد من الخصائص الايجابية والصحية في المجتمعات؛ أصبح في العراق حالة سلبية ، بسبب الجهل عند بعض الناس ، واستغلال الاحتلال له لتمزيق وحدة الشعب على مبدأ (فرق تسد)، ومن الأسباب التي أحالت الاختلاف إلى نقمة **الجهل والفضول** عند شريحة من شرائح المجتمع ، وهذه الحالة تكثر عند غير المنفتحين ثقافيًا على الآخر ، فأصبحت رؤية المختلف تثير الاستغراب والفضول ، وقد وضح الروائي هذه الظاهرة من خلال عدة نصوص منها قول (مها) أنها تريد أن تعيش في مكان تشعر فيه بأنها مثل الاخرين ، وأن لا ينظر إليها أحد على أنها مختلفة أو قادمة من بلد آخر ، وقد سردت العديد من الحوادث التي تعرضت لها من هذا القبيل ، أدت بها إلى ان تساير الآخر بمظهره الخارجي بقولها: إنها لا تضع الصليب على عنقها لكي تتفادى ((النظرات المتطفلة))[21] ، وهذه النظرات سواء أكانت بدافع الفضول أم بدافع الكراهية ؛ فإنها تسلب الآخر حريته ، وهذا ما عبرت عنه (مها) بقولها: ((أريد أن اعيش بحرية ، واضع ما يحلو لي حول عنقي))[22] .

ومن مظاهر الطمس عدم تقبل الاسماء التي تنتمي إلى ثقافة المختلف، وقد مثل الروائي لذلك بالحوار الذي دار بين (مها) والموظف الذي استغرب عند سماعه اسم والدها (جورج) وقال إنه اسم اجنبي وأنه يشبه اسم (جورج بوش) فردت عليه (مها) متذمرة : ويشبه ((جورج وسوف ...وجورج

(21) يا مريم : 112.

(22) المصدر نفسه : 112.

قرداحي))، وقد عزز هذه الصورة قول والدها إن عبدالسلام عارف قال يوما ((لا جوني ولا جورج بعد اليوم بويه حمد وخويه حمود))[23] ، ليثبت قدم ظاهرة طمس الهوية عن طريق محاربة الأسماء التي تمثل ثقافتها المسيحية المستمدة من تراثهم الديني .

ومن تمثلات التهميش والاضطهاد التي تعرضت لها الهويات في روايات (سنان أنطون) قضية (تقييد الحريات) في الاعتقاد والانتماء الايديولوجي التي مارسها البعث في حق معارضيه ، فالحزب يحمل شعارات قومية عممت على شعب متعدد الاعراق ، فضلًا عن أنه سلب حرية الأفراد في اختيار الايديولوجية التي يريدون الانتماء اليها ، وقد تمثل هذا في شخصية فرات الشاب المسيحي الذي يحمل افكارًا شيوعية لكنه كان مضطرًا لحضور الاجتماعات والمظاهرات التي ينظمها الحزب ((لتخرج الجماهير عن بكرة ابيها وتعبر عن حبها للقيادة))[24]، كما أنه حرم حق اختيار موضوع بحث التخرج لمجرد أنه يدخل ضمن قائمة الكتب الممنوعة سياسيًا[25]، ومن الهويات الايديولوجية التي اضطهدها البعث (الشيوعية)، فقد اضطهدها سجنا وتعذيبا وقتلا ، فصبري عم (جواد) كان شيوعيًا استطاع الهروب إلى بيروت، وبعدها تم إعدام رفاقه المنتمين إلى الحزب الشيوعي ، أما أخوه (والد (جواد) فلم يسلم من أذى التحقيق والتعهدات [26]، وكل هذه الممارسات لها اثارها النفسية على ذوي المطلوبين .

ومن مظاهر التهميش التي تتعرض لها الهويات الدينية حجب الكتب التي تخص مذهبًا معينًا، وهذا من الاخطاء التي ترتكبها الانظمة الشمولية، فالحجب يدفع الى الانفجار والغضب، واذا أردت ان تجعل شيئا مرغوبا فاجعله ممنوعًا، عبر الروائي عن هذه الفكرة من خلال كلام (جواد) : ((كان لكتب الفقه الشيعي التي كانت ممنوعة فيما مضى حصة الاسد))[27] ، ولعل هذا يفسر لنا اسباب التخندق الطائفي ، ويرجعها الى تعطش المجتمع للمحظورات التي تنتمي الى مذاهب وايديولوجيات كانت ممنوعة في النظام السابق ، يضاف الى ذلك استغلال القوى الخارجية لهذا التصاعد المذهبي وتوجيهه توجيها يوافق مصالحهم، من خلال زرع الفتن بين الاطراف التي لم تكن متنازعة في يوم من الايام .

ومن مظاهر الاضطهاد نجد : **الاعتداء اللفظي** أو العنف اللفظي الذي تتعرض له الأقليات، فالجو العام أصبح محتقنًا طائفيًا، وقد أصبحت الهويات تسمع في الاعلام وفي الواقع ما يشعرها أنها مستهدفة وغير محبب بها في بلدها ، من ذلك أنهم كفار وذميون، ومثال ذلك ما سردته (مها) من احداث تعود الى عام 2007 ، عن شخصية حاتم عبدالرزاق الذي يلقب نفسه امير المنطقة ((بدأ يصرخ بأنكر الاصوات عبر مكبرات الصوت قائلًا إن على أهل الذمة أن يدفعوا جزية قدرها 25 الف دولار شهريًا أو أن يشهروا اسلامهم علنًا في الجامع))[28]، وترجم كلام حاتم عبدالرزاق هذا إلى قنابل (رمانات) ترمى على بيوت المسيحيين و((أحرقوا كنيسة الاثوريين وهجموا على ..كنيسة يوحنا المعمدان))[29]، وانفجار المفخخة التي ركنت قرب بيت (مها) لتفقد بسببها ابنها في بطنها الذي

(23) المصدر نفسه : 111 .
(24) إعجام ، سنان أنطون، منشورات الجمل ، ط1 ، 2013 : 38 .
(25) ينظر : المصدر نفسه : 55 .
(26) وحدها شجرة الرمان : 119 .
(27) المصدر نفسه : 125 .
(28) يا مريم : 120 .
(29) يا مريم : 121.

سقط ميتًا ((من الرحم إلى اللحد حتى بدون المرور إلى المهد))[30] .

وقد يتسع الاعتداء اللفظي فيشمل الاتهام بـ(الخيانة) و(العرض) وغيرها من الاتهامات التي تقضي على المودة والمحبة بين أبناء الوطن الواحد، فنجد كل هوية تتهم الهوية الاخرى في وطنيتها وعرضها ، وفي المحصلة النهائية نجد أن الكل أصبحوا – وفق هذا المنطق – ليسوا وطنيين، ومتهمين بعرضهم ، وما يغذي هذه التجاوزات الصفحات المشبوهة والقنوات الطائفية التي تقسم الناس الى فريقين متقاتلين ، وهذا الخطاب المتكرر في وسائل الاعلام ، بدأ يعزز عند الهوية المسيحية الاحساس بأن هويتهم مستهدفة من قبل المتشددين كما جاء على لسان (مها): ((احنا مستهدفين يريدون يطلعونا من البلد ؟ يقولون علينا احنا صليبيين واحنا متعاونين وي الاحتلال وكذا))[31]، فالنصوص التي تدل على التهميش والاضطهاد كثيرة تظهر الكره والجهل والقتل والتهميش المتبادل ، يضاف الى ذلك دخولها إلى عالم آخر العالم الافتراضي الذي اصبح ساحة لصراع الهويات ، وهذا المجال مفتوح وغير محدد كما أنه يدخل في ما يمكن تسميته بـ(الهويات المجهولة) التي تحرك ما سكن من التمزق الذي يضرب أوصال الهوية الوطنية ، والردود التي تردها عليهم بالفيس بأنهم ليسوا عملاء كما يزعم المسلمون تدل على دخول الصراع الهوياتي مجالًا خطرًا تتهم فيه الهويات بعضها بعضًا بالخيانة .

يضاف إلى الاعتداء اللفظي ما هو أخف قليلًا ويمكن تسميته بـ(المضايقات اللفظية) أو الاسئلة الساذجة غير المقصودة التي تدل على جهل ابناء الهويات المتعددة بثقافة الهويات التي تشاركها الوطن ، ومن هذه الاحداث التي تعزز هذه المعاناة تساؤلات الناس إن كان المسيح يأكلون الكليجة فردت عليهم (مها) التي وجه لها السؤال ((أي ونشرب جاي وماي مثلكم ، قابل احنه جايين من الفضاء))[32] ، وغيرها من الاسئلة التي تنبع من معلومات مغلوطة تنمط صورة الآخر بما يخالف الواقع.

ومن التخوين والاتهامات المتبادلة نجد تعميم الأحكام ، فـ(مها) في اتهاماتها للهوية التي تظن أنها واقعة تحت اضطهادها لا تميز بين المتشددين وغير المتشددين فتجعلهم في سلة واحدة بقولها : إن ((المسلمين لا يريدوننا بينهم ويعاملوننا كأننا غرباء أو أجانب))[33] .

كما ان هناك (**الاضطهاد الفعلي**) الذي تعرضت له الهويات الصغيرة، وله عدة اشكال تناولها الروائي في اعماله الروائية منها : (التهجير والقتل على أساس طائفي) الذي تعرضت له هذه الهويات التي تمثل أقلية في المناطق التي هجرت منها، وقد ناقش الروائي (سنان أنطون) هذه القضية وأثرها النفسي والاجتماعي ، وما تركته من مرارة ناقشها من خلال شخصية (جاسم المكربجي) الذي أراد ان يترك عمله ويرجع للجنوب بسبب القتل الذي تعرض له رفاقه في العمل على أساس طائفي ، وقد ارجع سبب قراره بالرجوع الى ما رآه من تعرض أبناء طائفته للقتل ، ويدل على هذه التكتلات الهوياتية قوله (من جماعتنا) ، فهذه اللفظة تعززت في زمن الطائفية ، وأصبحت تدل على الهوية

(30) المصدر نفسه :128 .
(31) المصدر نفسه : 154.
(32) يا مريم : 111.
(33) المصدر نفسه : 141.

بشكلها السلبي ، فهذا الفلاح البسيط لم يسلم من نار الطائفية والاستهداف على أساس الهوية ، ومن الاشارات الايجابية التي وظفها الروائي على لسان الفلاح قوله : إنه أصبح يرى اناسًا مجهولين غير محددي الهوية سكنوا في بيوت ((ما جانوا بيها كبل))[34] ، وهذه الحوار يحمل وعيًا بحقيقة الأمور لا يلقي فيه الفلاح اللوم على هوية محددة، فالمجهولون هم الذين تسببوا بكل هذا الدمار الذي لحق بالعراق ، وأشار الروائي إلى تهجير المسيح من منطقة الدورة من خلال شخصية (مها) التي زاد من محنتها فقدان ابنها فلذة كبدها ، وتابع (سنان أنطون) حالتها النفسية وعلاقتها التي ظلت تسوء مع كل من حولها بمن فيهم زوجها ، ومن القضايا المهمة التي تطرق لها الروائي قضية تهجير التبعية الايرانية ، وما احدثته من آثار نفسية بالغة في المجتمع العراقي ، وهذه القضية لاتزال تحتفظ بها الذاكرة العراقية ، صور بكاء المهجرين وجيرانهم وصراخ الأطفال مشاهد مروعة لشريحة اصيلة من المجتمع العراقي متعدد الاعراق ، نقلها الروائي من خلال شخصية وسام الذي هاجر وترك أرضه وذكرياته ، واثرها في نفس صديقه قيس الذي لم يستوعب ((كيف يمكن ان يصبح وسام أجنبيًا وغريبًا بين ليلة وضحاها)) [35]، وتمثل هذه التجربة الانفصال القسري عن الهوية، وعدم الاعتراف بهم وما لحقهم جراء ذلك من تبعات نفسية .

وقد ناقش الروائي أثر التهجير في الهويات المضطهدة نفسيًا واجتماعيًا ، كما أنه تابع هجرتهم النهائية خارج العراق وبحث في تداعياتها على المهجرين ، منطلقًا من تجربته الخاصة مع الغربة مسقطًا إياها على لسان شخصياته ، فالهجرة إلى الحرية المنشودة دينيًا او عرقيًا ليست حلمًا سهل التحقق ، إذ إن شبح العنصرية والتمييز على الهوية يظل يلازمهم في بلاد المهجر ، وقد تابع الروائي حال الهويات المهمشة بعد الاغتراب التي ظلت غريبة الوجه واليد واللسان ، فالمغترب الذي هرب من التهميش في بلده سيظل مطاردًا بكم الاسئلة التي تنثال عليه لتشعره بغربته ، وبالأخص إذا كان عربيًا فبعد احداث (11 أيلول) تحولت النظرات إلى اللغة العربية من الفضول الممزوج بإعجاب ((الى نظرات توجس وريبة)) [36] ، حتى الكتب العربية اصبح العربي يتلافى حملها عندما يسافر بالطائرة ويستعيض عنها بكتب باللغة الانكليزية [37].

واصبح اغتراب المهاجرين مركبا؛ فالمهاجر لا يستطيع العودة الى بلده لانعدام الامن والحريات، وطريقة الحياة التي توفرها الدولة الحديثة، والعودة اليه تعني العودة الى القيود التي هرب منها، والتخلف الذي تخلص منه ، فيصبح بلده غريبا عليه ، وهذا ما عبر عنه نمير ((اعود إلى البلد الذي لم يصبح هوم))[38]، وفي الخارج تعمل فيه الذاكرة الانتقائية عملها باختيار الذكريات الجميلة عن بلده الأم ، يساعدها على ذلك – أي الذاكرة الانتقائية – فقدان الشعور بالانتماء إلى البلد الجديد ، فيصبح الاغتراب كما ذكرنا مركبا ، ينازعه فيه شعوران، تكون محصلته فقدان الارتباط العاطفي، والانتماء الى البلدين ، فهناك يظل مشدودا الى الهنا، واذا جاء الى الهنا، يظل مشغولًا بالعودة الى الهناك ، وهذا ما عبر عنه نمير بقوله: ((كنت قد قرأت كثيرًا عما يحدث للمهاجرين الذي يعودون بعد طوال غياب

(34) المصدر نفسه : 84.
(35) فهرس : 70 .
(36) المصدر نفسه : 114 .
(37) المصدر نفسه : 114 .
(38) المصدر نفسه : 17 .

وبحثهم عن وعي أو بدونه عما تبقى وقرأت عن الذاكرة الانتقائية وعن الحنين وشراكه))[39]، أما اذا اصبح في بلده فيبدأ باستعجال الرحيل ، وهذا ما جاء على لسان السائق الاردني الذي سأل نمير مشاكسًا ((شو ؟ لهالدرجة مستعجل تترك العراق استاذ نمير))[40]، حتى الهجرة داخل البلد الواحد لا تخلو من التصنيف القائم على الهوية ، فـ(عينكاوة) ذات الاغلبية المسيحية التي تهرب اليها (مها) لم تخل ممن يتعامل معها على اساس مناطقي أو عرقي، فنجدها تعاني من كلام اهل البلدة التي هجروا اليها، فقد دخلت امرأة من عينكاوه في مشادة كلامية مع (مها) ((اتهمت فيها مسيحيي بغداد بانهم رفعوا اسعار الايجارات بقدومهم الى عينكاوة، وبانهم يزاحمون اهلها على كل شيء حتى الهواء))[41]، وكانت (مها) تعلل نفسها بأن معاناتهم ستنتهي عندما يهاجرون ، وفي حقيقة الامر ان الهجرة الى اوربا او أي دولة اخرى لا تعني انتهاء المعاناة ، وهذا ما قاله (يوسف) لـ(مها): ((إن الهجرة والسكن في بلاد اغلبيتها من المسيحيين لن يكون بلا مشاكل وصعوبات ، ولا يعني بانني لن اشعر بانني اقلية هناك ايضا)) [42] .

ومن تداعيات التهميش وضغطها النفسي على الهويات الصغيرة (تضخيم الاحداث) وتفسيرها تفسيرًا غير واقعي ، وهذا ما نجده في شخصية (مها) التي تبرر تبرمها من البلاد بأنها لا تستطيع أن تلبس ما يحلو لها من غير ان تتعرض لمضايقات لفظية بقولها: ((أريد أن أعيش بحرية واضع ما يحلو لي حول عنقي ، وما طال أو قصر من الملابس))[43]، وهذا التبرير يعد من التضخيم الذي تمارسه الشخصية المضطهدة التي ترى أن النظرات اليها بسبب هويتها ، فمن الممكن ان تكون هذه النظرة -ان كانت موجودة فعلاً- لكل النساء غير المتبرجات ، فلبس القصير ليس مقصوراً على المسيحيات ، أما لبس الصليب فلا أحد ينظر إلى لابسه نظرة كراهية ، ومن المحتمل أن ينظر إليه من باب الفضول ، فالواقع يقول إن الديانة المسيحية محط احترام وتقدير كل الطوائف في العراق ، كما أنها لم تدخل في صراع طائفي متبادل ، ولم يحمل لها في ذاكرة العراقيين ما يجعل واحدًا من الملايين يحمل لهم الحقد، ومن ذلك أيضا قضية الحكم بالإعدام على طارق عزيز الذي فسرته (مها) بأنه تم بدافع طائفي بقولها ((لوكان من جماعتهم ما كان عدمونو))[44]، كما فعلت أم مخلص عندما قتل ابنها ظلت تصرخ وتقول: ((اختطفوه وقتلوه لأنه مسيحي))[45]، مع أن القتل كان غرضه التسليب والابتزاز ، ولكن تفسير هذه الأحداث وتوجيهها توجيهًا طائفيًا كان سائدا في ذلك الزمن عند كل الهويات التي تعرضت للعنف، حتى أنها لا ترى أحدًا غيرها يعاني ما تعانيه، وهو ما أراده المحتل ليزرع الفتنة بين هويات الشعب الواحد .

ومن تداعيات التهميش والاضطهاد أن الهوية التي وقع عليها الاضطهاد والتهميش لا ترى الايجابيات ولا تريد ان تصغي الى صوت العقل، وهذا ما مثلته (مها) التي تقول إنها لم تر زمنًا ماضيًا نعمت فيه الاقليات بالأمان والرخاء، فالعنصرية والطائفية التي تمارس عليهم اليوم -حسب رأيها- ليست مستجدة وقد لخصته بقولها: ((ليش هو

(39) المصدر نفسه : 27.
(40) المصدر نفسه : 18 .
(41) يا مريم : 138 .
(42) يا مريم: 113 .
(43) المصدر نفسه : 113 .
(44) المصدر نفسه: 24 .
(45) المصدر نفسه : 115 .

شوقت كان وضعنا مستقر مية بالمية وماكو عنصرية وتفرقة))[46].

ومن اخطر تداعيات التهميش الانشقاق عن الهوية الوطنية، فالتهميش عادة تكون نتيجته الانشقاق عن الهوية ، فالهوية المهمشة والمضطهدة تبحث عن اسباب تجعلها ترتبط بالولاء والانتماء لبلدها ، وبسبب ضيق الرؤية ، وغيرها من الأسباب تلجأ تدريجيا إلى الانشقاق عن الهوية الوطنية والبحث عن هويات خارج حدود البلد تنتمي اليها تشاركها في هويتها الفرعية ، أو انها تنطوي على نفسها في الداخل وترفض الاخر وتقصيه، وقد ساعدت الاحداث التي مر بها العراق على خلق تكتلات طائفية ورفض للهويات الأخرى، وغالبا ما يكون تبريرها ما يجري من اعتداءات من الهويات المضادة ، وما يميز الهوية المنشقة انها لا تكترث بما يجري لغيرها ، ولا يهمها ما يحدث للبلد، فقد فقدت الانتماء للوطن الذي أصبح لا يمثلها واصبحت ترى نفسها خارج اسواراه باحثة عن هوية عابرة للقارات والحدود .

تمثل الانشقاق عن الهوية الأم في شخصيتي (مها) وزوجها لؤي الذي كان مؤيدا لرأيها في نبذ الآخر، ورفضه، ففي قول (مها) : ((لا امتلك زمناً سعيدا))[47] كان سببه التهميش الذي بحثناه في الهوية المهمشة ، وكان سبباً في انشقاق الهوية الفرعية عن الأم ، فهي تعيش في بلد لا تحس أنها تنتمي إلى أي جزء من تاريخه ، ففي كل حقبة من حقبه نجد اثراً لهوية كانت تحكمه بسلبياتها وايجابياتها ، تجعل أتباع هذه الهوية يعتزون به ويشعرون بالانتماء إليه من النظام الملكي الى عام 2003 ، إلا انها لا تمتلك زمنا سعيدا تنتمي اليه ، وتستدرك بقولها ((ربما اكون سعيدة هناك بعيداً عن العراق))[48].

ومن تمظهرات الانشقاق في الهوية المنشقة انها لا تبالي بما يحصل لغيرها في البلد ، فتظل تتفاعل مع ما يتعرض له شركاء الهوية من معاناة ، مغضية الطرف عن معاناة الاخرين، وقد مثل لها (سنان أنطون) بشخصية (مها) التي كان ردها على كلام (يوسف) بأن المسلمين يتعرضون للقتل بالالاف، قالت له: ((أي يروحون يقتلون بعضهم بعض، ويخلونا بحالنا، احنا شعلينا))[49].

ج- الهوية المضادة :

ينتج الصراع بين الهويات ما يمكن تسميته بـ (الهوية المضادة) التي تمثل عدوًا ثقافيًا للهوية المغايرة ، وتكون العلاقة بينهما علاقة عداء ، وعادة ما تكتسب الهوية المضادة صورة نمطية في ذهن الآخر ، و يكون التعبير عنها تصريحًا أو ضمنًا، ومن **التعبير الصريح**: الذي توصف به الهوية المضادة بأبشع الصفات ما نجده في شخصية عدنان صديق نمير الذي التقى به في امريكا وبرر له سرقة العراق عن طريق الشركات المستمثرة بقوله ((يعني تريدنا نعوفها للشراكوة))[50]، كل هذا يعطي لنا هذا التصنيف الذي اطلقنا عليه الهوية المضادة ، فكل هوية لها هوية مضادة تحاربها وإن ثقافيًا.

أما التعبير الضمني غير المباشر فهو التعبير عن العداء للهوية المضادة بصورة غير مباشرة ، كما نجده عند فرات عند وصفه الرفيق الحزبي بقوله عن شاربه ((المائل الى الاحمرار يذكرني دائما بالصراصر))[51] ، فهذا التشبيه إن لم يكن فيه تنمر

(46) المصدر نفسه : 26 .
(47) يا مريم : 140 .
(48) يا مريم : 140 .
(49) المصدر نفسه : 24.
(50) فهرس : 169 .
(51) إعجام : 12.

على الصهب ، فهو تشبيه ينسحب على الهوية التي يصدر عنها هذا الرفيق ، وكهذه أو غيرها من صفات سلبية لا تمس المخطئ بذاته بل تنسحب إلى الهوية التي ينتمي إليها ، كما أن (مها) التي تتجول في الشوارع وصفت صور المعممين بانهم غاضبين، وحواجبهم غليظة[52]، وكانت نظرتها نمطية فيها تعميم وكره ، فضلًا عن قولها إن الارهابيين خرجوا من نفس المجاري التي خرج منها صدام، والمقصود بالمجاري الحاضن الاجتماعي الذي خرجوا منه ، والنقاش هنا ليس مع الروائي وانما مع انماط في الرواية لها تمثيلها الحقيقي والواقعي في المجتمع ، ومن الصور النمطية عن الاسلام ما قالته (مها) من أنه انتشر بالسيف ، ويحمل العداء للطائفة المسيحية ، وأخذ الشواهد من مصر التي عانى فيها الاقباط أيضا – حسب قولها – من ظلم المسلمين [53].

ومن تمظهرات الهوية المضادة (الانغلاق) في التعامل مع الاخر ، وعدم واقامة علاقات ودية معه، وهذا ما يحدث عند المتشددين الذين لا ينفتحون على الهويات الأخرى لدوافع تقوم على أساس الهوية ، كما فعلت الجماعات المسلحة التي أخرجت المسيحيين من الدورة ، وفجروا كنائسهم لتصبح مناطقهم على هوية واحدة ، وهذا ما حدث في كثير من المناطق المختلطة في ذلك الزمن .

كما أشار (سنان أنطون) الى مظهر اخر من مظاهر الانغلاق الذي مثلته الرواية في عدم تزويج الهويات الأخرى ، من ذلك رفض تزويج المسلمات للمسيحيين، الذي مثل له برفض والد دلال تزويج ابنته لـ (يوسف) بسبب الدين ، وهذا ما اطلق عليه الراوي أنه فكر متحجر يعبر عنه بقوله ((لم تكن دراسة أبيها في امريكا قد غيرت تفكيره المتحجر))[54] ، وقد أضاف (يوسف) أسبابًا أخرى للرفض منها فارق العمر وعدم امتلاك (يوسف) شهادة جامعية ، لكنه سلط الضوء على هذا السبب الذي فيه نص تحريمي ، ولا علاقة له بالتحجر من قريب أو بعيد ، وقابل رفض والد دلال برفض أخته (حنه) الزواج من غير المسيحيات ، فتكون بذلك الدائرة مكتملة وأن الانغلاق من الطرفين لا من طرف واحد .

المبحث الثاني – الاعتراف وتمثلاته في روايات (سنان أنطون) أنطون:

يحمل الاعتراف دلالات متعددة منها القبول بالآخر المختلف ، واحترامه والتفاعل معه ثقافيًا، كما أن الاعتراف بالأخطاء يدخل ضمن موضوعنا هذا ، فالاعتراف بالخطأ إن كان ناتجًا من الهوية التي ينتمي إليها الاديب وشخصياته التي يقدمها ؛ يمثل أداة ترابط في المجتمع واسكات للأفواه التي تريد أن تفكك أوصاله ، ويوفر الاعتراف مساحة من الحرية تساعد على تقدم البلاد وتطورها على الاصعدة كافة، فلا تقدم ولا تطور في بلاد يتربص بعضها ببعض، ويملأها الخوف وتقيد فيها الحريات ، ويهيمن الاعز عدداً فيها على الأذل والأضعف قوة وعددًا ، ويأتي الاهتمام بالاعتراف فلسفيًا واجتماعيًا ضمن المساعي الحثيثة لعلماء الاجتماع والفلاسفة في بحثهم الدؤوب عن أسباب عدم الاعتراف وما يفضي اليه من صراع طبقي أو طائفي ، والمعول عليه في هذا السعي الأدب بما يحمله من قدرة على تغيير القناعات ، وتطهير النفس البشرية من أدران الحقد ،

(52) يا مريم : 142.

(53) يا مريم : 25

(54) المصدر نفسه : 66 .

وهذا يحيلنا إلى نظرية التطهير عند ارسطو ، ونظرية الفن للمجتمع التي تجعل للأدب مهمة اصلاحية تصور العيوب وتعمل على اصلاحها ، والتأكيد على ((البعد الاخلاقي كما هو ظاهر في كتابات الفيلسوف الكندي تشارلز تايلور ، وبخاصة في دعوته الى ضمان حدود دنيا لعلاقات اجتماعية غير خاضعة للإكراه))[55] .

وللحديث عن الاعتراف لابد من الحديث عن مرحلة ما بعد الحداثة التي جاءت بمفاهيم جديدة عن الهيمنة والسلطة والمعرفة ، والاهتمام بالهامش والمسكوت عنه، والقضايا التي تتعلق بالتعدد الثقافي ، والأقليات التي عانت من اضطهاد على أساس الهوية في ظل الدول القومية ، كل هذا ولد احساسًا بضرورة الاعتراف بالآخر المختلف حفاظًا على هويات الأقليات ، وحقهم في المساواة والحرية، ولانتقال من الصراع بدلالته السلبية إلى الحوار[56]، فالاعتراف أصبح اليوم حالة ملحة للوصول الى مجتمع صحي يعمل كل افراده على تسخير طاقاتهم لخدمته والنهوض به ، بدلًا من تعطيل امكانياته وتبديد ثرواته البشرية والاقتصادية في صراعات لا طائل منها سوى الخراب .

اولاً- في مصطلح الاعتراف:

الاعتراف في اللغة مشتق من الفعل اعترف ويعني: الاقرار بشيء ما ، و(الاعتراف) بالذنب الإقرار به، ويقال اعترف بالذنب أي اقر به[57]، والاعتراف الاخبار بصدق بعيدًا عن الهوى، ويقابلها في اللغة الانجليزية (recognition)، أما في الاصطلاح فقد عرفه هونيث بأنه فعل تواصلي بين الذوات يعبر عن التقدير والاحترام والاقرار بالهوية ، وينظر إلى الاعتراف على أنه شرط اساسي في تكوين الذات الانسانية وتحقيق العدالة الاجتماعية، والاعتراف في الدراسات الاجتماعية علاقة تذاوتية تثبت لنا ان الهوية لا تتكون في عزلة عن الاخر، وانما تتكون من خلال التفاعل مع الاخرين[58]، وهذا ما سوف نطبقه على موضوع بحثنا ،كما سنتطرق للاعتراف إلى الاخر بالأخطاء التي تكون في ساحة المعترف التاريخية أو الراهنة ، والدفاع عن المعترف إليه مما قد ينسب اليه بهتانا وزورًا .

وللاعتراف جذور عريقة في الفكر الانساني تطورت عبر مراحل تاريخية وفكرية ، إلا أنه لم يكن حاضرًا حضورًا يمنحه الاستقلالية عن مفاهيم انضوى تحتها لمدة طويلة من الزمن كالعدالة والفضيلة ومعرفة الذات ، واذا بدأنا من العصر الحديث لابد من الاشارة الى رأي هيغل ونظريته القائمة على جدلية السيد والعبد ، وهذه الثنائية تحمل بعداً رمزياً لعلاقة الأقوى مع الأضعف ، وما تخلقه من صراع من اجل الاعتراف ، ومن الممكن ان نطلق عليها جدلية المتن والهامش . ومن فلسفة صراع الطبقات الماركسية القائمة على الوضع الاقتصادي إلى الصراع الاجتماعي عند اكسل هونيث يتبلور مفهوم الاعتراف ويصبح موضوعًا مستقلًا يناقش فلسفياً حاجة الانسان إلى الاعتراف، ويعده أساسا للعدالة الاجتماعية، وغيابه يؤدي إلى الاذلال الاجتماعي، وما يلفت النظر أن اكسل أطلق على كتابه اسم (الصراع من اجل الاعتراف)

(55) الاعتراف ، من أجل مفهوم جديد للعدل (دراسة في الفلسفة الاجتماعية) ، الزواوي بغوره ، تقديم : فهمي جدعان ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت: 11 .

(56) الاعتراف ، من أجل مفهوم جديد للعدل (دراسة في الفلسفة الاجتماعية) : 78 .

(57) مختار الصحاح : 1 / 207.

(58) ينظر : الاعتراف ، من أجل مفهوم جديد للعدل (دراسة في الفلسفة الاجتماعية) : 9 وما بعدها .

والعنوان يوحي إلى أن الاعتراف لا يطلب انما يؤخذ أخذًا ، وهذا يتماشى مع الفلسفة الماركسية القائمة على الصراع .

وللاعتراف ثلاثة أبعاد عند اكسل هونيث الأول الحب الذي من خلاله يشعر الفرد بالوجود ، وأنه مقبول اجتماعيًا ، من هنا نستنتج أن الاعتراف لا يكون مباشرًا وإنما هناك علاقات اجتماعية نشعر ضمنًا من خلالها اعتراف الآخرين بنا ، وهذا ما سنجده في الرواية من خلال بحث الشخصيات التي تمثل انماطًا اجتماعية عن الحب، ونفورها من الكره في عيون الناس، أما الاعتراف القانوني فهو الاعتراف بالحقوق المدنية والقانونية ، وهذا الاعتراف يعد عنصرًا فاعلًا في المجتمع يضمن كرامة الفرد ويشعره بالمساواة، وأنه مواطن له حقوق وعليه واجبات ، مما يعزز شعوره بالانتماء، أما الجزء الثالث فهو الاعتراف الاجتماعي، الذي من خلاله يشعر الفرد بأن محيطه يعترف يقيمته الخاصة وتاريخه ، ويشعر فيها أنه جزء من تاريخ المجتمع .

ثانياً – الاعتراف في روايات (سنان أنطون):

وللحديث عن الاعتراف في روايات (سنان أنطون)لابد من الاشارة إلى أن الكاتب ينتمي إلى طائفة ذات أقلية في المجتمع العراقي، وأعماله عدا (إعجام) تتحدث عن الوضع بعد عام 2003، فمن الطبيعي أن يكون حضور الاعتراف فيها مقترنًا بـ(الصراع)، وهذا ما نلاحظه في شخصيات رواياته التي أخذ الصراع فيها حيزًا كبيرًا ؛ بسبب غياب الاعتراف وصعود الخطاب الإقصائي القائم على العنف فعليًا ومعنويًا، وقد تمثل ذلك في رواياته من خلال عدة شخصيات توزعت على أربع روايات هي (إعجام)، و(يا مريم)، و(وحدها شجرة الرمان)، و(فهرس)، وسوف اتناول هذا الموضوع بالدراسة من خلال عدة نظريات، الاولى تتمثل بنظرية أكسل هونيث (الصراع من اجل الاعتراف) ، وسوف توظف هذه النظرية في تتبع سعي الشخصيات الدائب نحو الحصول على الاعتراف لحاجتها الملحة اليه لخلق الاستقرار النفسي والاجتماعي ، أما النظرية الثانية فتتمثل بـ(نظرية الفضاء العمومي) عند هابرماس ، يضاف اليها نظرية ثالثة هي نظرية (المثقف العضوي) عند غرامشي لتوظيفها في المطلب الخاص بإشكالية الاعتراف، وصولًا الى تقديم مقترحات وحلول لأزمة الهوية التي عانى منها مجتمعنا ، وما زال يعيش في تداعياتها.

2–1 . الصراع من اجل الاعتراف :

قد يحمل الصراع دلالة سلبية تشير إلى العنف والاقتتال ، إلا أنه – أي الصراع – أمر طبيعي وفطري في طبيعة الانسان الذي بفطرته يسعى إلى تأكيد ذاته ، واثبات حضوره وتميزه وأن لا يندغم بثقافة غيره التي تلغي تميزه واختلافه ، وقد شكل الصراع حافزًا مهمًا في تطور الشعوب وبناء الحضارات منذ فجر التاريخ ، فلا بقاء لهوية إن لم تكن قد خاضت هذا الصراع واثبتت حقها في الوجود، وهنا لابد من الاشارة إلى الصراع الفكري والثقافي القائم على الجدل الفكري السليم بين الهويات، من أجل العدالة ونيل الحقوق المدنية، وممارسة الطقوس الدينية ، وتأسيس دولة صحية تفجر طاقات الإبداع في المجتمع بدلًا من تفجير العنف والفوضى ، وسوف ندرس هذا الموضوع من خلال أبعاد الاعتراف الثلاثة التي قدمها اكسل هونيث: (الاعتراف في مجال الحب) و(الاعتراف في مجال القانون) و(الاعتراف في مجال التضامن

الاجتماعي).

2-1-1. الصراع في مجال الحب :

تناول اكسيل هونيث في هذا المجال العلاقات الشخصية المبنية على الثقة والحماية، وأبرز أهمية الحب في إشاعة الاستقرار النفسي والاجتماعي، وتكوين الهوية الذاتية ، وتقدير الآخر ومبادلته الحب والاحترام، فالحب يخلق علاقات مبنية على الأمان والطمأنينة، خلافًا للكره الذي يشيع العنف والحقد ، ويؤدي الى الاقتتال، وقد عرفه كمال بو منير وفقا لهونيث على أنه ((علاقة تفاعلية مؤسسة على نموذج خاص للاعتراف المتبادل))[59] ، وغيابه يؤدي الى (الموت النفسي)[60] ، وللحب تمثلات كثيرة ومتنوعة في روايات انطون ، ولعل انتمائها زمنيا إلى حقبة الطائفية التي سادت فيها لغة الكره والعنف؛ جعل قسمًا من شخصياتها تشكو من انعدام الحب، واظهار الكره بدلًا منه .

ففي رواية (يا مريم) نجد (مها) تعاني من نظرات الكره التي ترمقها في الخارج ، وهذه النظرة كما تقول لا تقتصر على الرجال، فالنساء ايضا ينظرن إليها بكره بسبب ما ترتديه من ملابس لا تتفق مع الدين الاسلامي الذي لا تدين به (مها) ، وكثيرًا ما أزعجتها هذه النظرات بقولها : ((لا تجيء النظرات من أعين الرجال فقط، بل حتى من النساء اللواتي ينظرن إلي ويشعرنني كأنني عاهر لأني لا أرتدي الحجاب)) [61] ، ومن تمثلات الكره ما عبرت عنه (مها)، أن المسيحي يشعر ((بأنه مطارد كفريسة أو مرشح لان يكون فريسة في مستقبل قريب))، وسبب هذا الكره حسب قولها ((ان المسلمين لا يريدوننا بينهم ويعاملوننا كأننا غرباء أو أجانب))[62]، وهذا الاحساس بالكره تقابله (مها) بكره مضاد، وتعتذر الى المسيح الذي قال احبوا اعداءكم، فتجيبه بقولها ((لا استطيع ان احبهم، لا استطيع لا افهمهم ولا استطيع ان ألجم الحقد والتقزز اللذين اشعر بهما كثيرا))[63].

وهذا الكره لم يقتصر على النظرات المعبرة عن الكره، فقد جسده الروائي عن طريق العنف الممارس ضد المسيح ، واختار لذلك مثالًا من الواقع هو تفجير كنيسة مريم ، وقد نقل حوارا بين المهاجمين يدل على هذا الكره على لسان (مها) ((شافو الصليب عبالك انجنو ، قامو يصيحون علينا كفرة انتو كفرة انتو تعبدون الصليب))[64]، وقد استخدم الروائي تحديد جنسية أحد المهاجمين على أنه عراقي ، ليحمل النص دلالة أن الكره لم يكن قادما من الخارج إنما له من يسانده ويؤيده ويروج له في الداخل بقولها: ((العراقي كان واقف قريب مني كنت اسمع صوت الطلقات لمن يرمي فكنت اتوقع في باي لحظة يقتلني .. كان يضرب ويقول يا الله ثبتني بالايمان))[65].

2-1-2. الصراع في مجال القانون :

يعد الاعتراف القانوني مظهرًا مهمًا من مظاهر الدولة الحديثة ، فبقدر ابتعاد المؤسسات الحكومية عن التمييز على أساس الهوية ، بكل أشكاله تقترب من الحضارة وتبتعد عن البدائية والتخلف ، وعندما

(59) النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت (من ماكس هوركهايمر الى أكسل هونيث): 108 .

(60) الصراع من اجل الاعتراف (القواعد الاخلاقية للمآزم الاجتماعية) ، اكسل هونيث ، تعريب : جورج كتورة ، المكتبة الشرقية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2015: 245 .

(61) يا مريم : 110 .

(62) المصدر نفسه: 141 .

(63) المصدر نفسه 141 - 142.

(64) المصدر نفسه : 152.

(65) المصدر نفسه : 152.

يحرم الفرد من بعض حقوقه المشروعة ؛ فهذا يعني أن المجتمع لا يعترف له بنفس درجة المسؤولية التي يعترف بها لأعضاء المجتمع الآخرين[66] ، كما أن الحرمان من الحقوق والاقصاء الاجتماعي يؤدي الى (الموت الاجتماعي) [67].

نجد هذا الصراع يتمثل في في رواية (إعجام) ، اذ يحرم (فرات) من حقوقه القانونية في اختيار حق الانتماء كغيره من أفراد الشعب الذي يرغمون على الانتماء لحزب البعث ، ويسيرون في المظاهرات رغمًا عنهم ، ويهتفون بشعارات لا يؤمنون بها ، وفي المقابل لا يحق لأي مواطن أن يظهر انتمائه لأي حزب وإلا سيكون مصيره الإعدام أو السجن والتعذيب وهذا ما حصل لفرات الذي فقد كرامته تعذيبًا واغتصابًا، وهذا الاذلال الذي مورس بحق فرات هو جوهر نظرية الصراع عند اكسل هونيث من أجل حصول الافراد على ((حقوقهم ومن اجل تشكيل هوية ايجابية حول انفسهم ، ومن أجل أن يحصلوا على الاحترام والتقدير اللائقين من قبل الآخرين)) [68]، كما أن الدراسات العليا التي هي مطمح كل طالب في مرحلة الدراسات الاولية يصبح حلمًا بعيد المنال لمن يحمل افكارًا غير افكار البعث، ولا يؤخذ المرء بجريرة نفسه ، فقد يصل الأمر أن يؤخذ بجريرة اقاربه من الدرجة الاولى أو حتى الثالثة ، وهذا قمة الامتهان والاذلال الذي عانى منه الشعب العراقي الذي لم يساير البعث ويصفق له .

كما أننا نجد من تمثلات غياب الاعتراف أن شخصية (مها) تشكو من عدم عدالة القانون في تعاملها مع طارق عزيز ، وأنهم حكموا عليه بالإعدام لأنه مسيحي بقولها ((لو كان من جماعتهم ما كان عدمونو ، بس طبعا ، لأنه مسيحي دمه رخيص))[69]، وفي هذا الاستنتاج يعكس لنا احساس شريحة من المجتمع بممارسة التمييز ضدهم ، وإن كان هذا الهاجس غير حقيقي.

وما جاء على لسان (يوسف) يفسر لنا أن القانون معطل في البلاد، والسلطة لمن يمتلك القوة، بقوله: ((دولة ماكو والاقليات ماحد يحميها غير الدولة القوية، احنا لا عدنا حزب ولا مليشيا ولا بطيخ))[70]، وهذا يدل على أن القانون اصبح للأقوى، وأن الاقليات غير مشمولة بهذه العدالة.

2-1-3 . الاعتراف في مجال التفاعل الاجتماعي :

يطرح اكسل هونيث رؤية فلسفية ترى أن العدالة الاجتماعية لا تتم الا بالاعتراف المتبادل ، والمساهمة الفاعلة لكل الهويات التي تشكل المجتمع في بناء بلدهم والاسهام في صناعة حضارته، كي تشعر بقيمتها الاجتماعية ، والانتماء الحقيقي للبلد، وهذا النوع من الاعتراف ((يسمح للأفراد تحقيق ذواتهم من خلال علاقات الاعتراف المتبادلة))[71] وأي انتهاك لهذه القيمة يؤدي الى فقدان القدرة على الاندماج الاجتماعي .

وقد اخذ هذا المحور حيزًا كبيرًا في روايات انطون ، إذ إن (مها) تبرر عدم انتمائها لهذا البلد وتاريخه أنها لا تجد لنفسها وجودًا في تاريخه ،

(66) النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت (من ماكس هوركهايمر الى أكسل هونيث)، د.كمال بومنير ، الدار العربية للعلوم ناشرون ،لبنان، منشورات الاختلاف ، الجزائر، ط1 ، 2010 : 111 ، 112.

(67) ينظر: الصراع من اجل الاعتراف (القواعد الاخلاقية للمآزم الاجتماعية) : 246 .

(68) الاعتراف، من أجل مفهوم جديد للعدل (دراسة في الفلسفة الاجتماعية) : 177.

(69) يا مريم : 24

(70) يا مريم : 25.

(71) النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت (من ماكس هوركهايمر الى أكسل هونيث) : 110 .

فالمجتمع بعد الاحتلال يختلف في تحديد الزمن الجميل، فمنهم من يجعله ينتهي بانتهاء العهد الملكي؛ وهذا التفضيل قد يكون مبعثه الانتماء حسب الهوية ، ومنهم من يجعله ينتهي بانتهاء حكم قاسم ، وهذا الانتماء ايضا في كثير من جوانبه قائم على الهوية ، ومنهم من يجعله ينتهي بالحقب التي تلته ، أما (مها) فترى أن لا تاريخ لها في هذا كله[72]، والسبب في ذلك أن الهوية التي تنتمي اليها لم يكن لها حضورا فاعلا في المشاركة السياسية والاجتماعية، وعلى نقيض هذا الموقف نجد (يوسف) الذي يرى أن تاريخ العراق يشهد بأقدميتهم في هذه البلاد ، وانه لهم قبل غيرهم بقوله ((بلدنا وبلد اجدادنا احنا قبل غيرنا))[73]، وهذا النقاش يجري تحت مظلة الصراع من أجل الاعتراف بالوجود المسيحي الفعلي تاريخًا وحضورًا .

وكما هو معروف أن المسيحيين لهم اسماء مستقاة من ثقافتهم الدينية ، لهم حق الاعتزاز بها ، وعلى الآخر تقبل هذه الخصوصية الثقافية ، إلا أنهم يتعرضون للمضايقة من قبل بعض افراد المجتمع بسبب توهمهم أنها اسماء أجنبية ، فـ(مها) شكل لها اسم والدها (جورج) ازعاجًا بسبب الاسئلة الاستفزازية ، فكان ردها على أحدهم بعد أن علق على اسم والدها: أي نعم جورج ، مثل (جورج وسوف) و(جورج قرداحي) ، فهؤلاء كلهم عرب أو قوميات غير عربية تعتز بتسمياتها النابعة من ثقافتها ، وهذا يمثل نوعًا من انواع الصراع الثقافي الذي تسعى فيه الهويات الفرعية إلى الحفاظ عليه والاعتزاز به، وقد أيد والدها تذمرها بقوله ان عبدالسلام عارف له موقف مماثل لتصرف هذا الموظف الذي استنكر اسم ابيها ، بقوله : ((لا جوني ولا جورج بعد اليوم بويه حمد وخويه حمود))[74] .

أما تحقق الاعتراف في الرواية فقد تحقق في شخصية (سعدون) في رواية ((يا مريم)) الذي كان يشارك الاخر في افراحه واحزانه ، بعيداً عن الاعتبارات الطائفية ، إذ تمثل ذلك في أكثر من موضع ، منها ذهابه للكنيسة – أي سعدون – لتعزية (يوسف) عند وفاة اخته حنة ، ومشاركته في إشعال شمعة لروحها – وفقاً للمعتقد المسيحي – في ذكرى وفاتها[75] ، ومواساته لصاحبه اليهودي (نسيم) الذي هجر من العراق ، وغيرها من الاشارات الكثيرة التي تدل على تلاحم الشعب العراقي اجتماعيًا .

ثالثاً– الاعتراف الموضوعي :

ويتمثل هذا الاعتراف بالحكم الموضوعي على الآخر ، وعدم التحامل عليه ، وانصافه ، وهذا النوع من الاعتراف من أكثر أنواع الاعتراف أهمية وفائدة لتحقيق الترابط الاجتماعي، لما يحمله من قدرة على امتصاص الغضب والحقد من نفوس المتشاحنين، فلو أن خطأ صدر عن هوية ما وخرج للناس من يحاول تبريره حتمًا سيساعد هذا التصرف على إذكاء الحقد والغضب، أما إذا خرج من يعترف به على أنه خطأ، ويرفضه، سيساعد هذا على امتصاص الغضب وتغيير مسار الأمور إلى ما تحمد عقباه، ولا يكون ذلك إلا من جانب من تحرر من الفكر الضيق وما يمليه على صاحبه من نبذ وإقصاء ، كما يدخل في هذا النوع إرجاع الأحداث إلى مسبيها الحقيقيين، كإرجاع القتل

(72) يا مريم : 140 .
(73) المصدر نفسه: 26 .
(74) المصدر نفسه : 111 .
(75) يا مريم: 96 .

والجرائم إلى الاحتلال بدلًا من رميها على الآخر الذي ذاق مرارتها ، فالكل متضررون، ومن أفاد منها هم أولئك المنتفعون، الذين ربطوا أنفسهم بالخارج ، فضلًا عن أصحاب النفوس المريضة ممن سعوا خلف تلك الخطابات وجندوا انفسهم لتنفيذ اجندات خارجية تقف خلفها .

كما يدخل في هذا النوع من الاعتراف عدم اغضاء الطرف عن عيوب النحن (الهوية التي ينتمي اليها الانا) ، فقد تكون العيوب التي ننتقدها في الآخر، موجودة فينا إلا أن عدم الانصاف والابتعاد عن الموضوعية تجعلنا نتجاهلها، ونحاسب الآخر عليها، فالاعتراف يستوجب النظر إلى الأمور بموضوعية ، بعيدًا عن التعصب، فهذه الازدواجية نجدها في شخصية (مها) التي أتهمت الدين الاسلامي بأنه انتشر بالسيف، فكان رد (يوسف) عليها اعترافا موضوعيًا بقوله: ((ليش الدين المسيحي شلون انتشر؟ بالحكي وبالعيني والأغاتي؟ لو مو هذا الامبراطور الروماني اللي نسيتو اسمو، اللي صار مسيحي، ما كان انتشر بسرعة ، بعدين لمن كانوا يدخلون مدينة، اللي ميصير مسيحي ينقص راسو، لا جزية ولا هم يحزنون، والحروب الصليبية وفتح اميركا الشمالية والجنوبية انذبحو بيها عشرين مليون بمباركة الكنيسة))[76]، فالعيب الذي تترصده في الهويات الأخرى له ما يشابهه في تاريخ الهوية التي تنتمي اليها ، وهذا النوع من الاعتراف يساعد -كما ذكرنا - على تقليل مساحة الاحتدام الطائفي، وتضيق تبعًا لذلك مساحة الجدل إلى أن تنتهي .

ومن ذلك انتقاد (حنة) للقران الكريم بذكر قصة المهد ، فأجابها (يوسف) ((كنت قد قرأت قبل فترة عن الاناجيل الضائعة وتلك التي لا تعترف بها الكنيسة .... هاي قصة النخلة ويسوع اللي يحكي بالمهد موجودة باثنين من الاناجيل اللي ما قبلت الكنيسة تعترف بيها))[77]، وهذه الاجابة تدل على الموضوعية التي يتحلى بها (يوسف) وكاتب الرواية من ورائه .

يضاف إلى ذلك إرجاع الأحداث الى من يقف وراءها، بدلًا من رميها على الهوية التي ينتمي اليها المأجور الذي نفذها ؛ مثال ذلك رد (يوسف) على (مها) التي قارنت حالها بحال اليهود الذين هجروا من العراق، وأن حال المسيح سوف يكون مشابهًا لهم، ولن يبق مسيحي في العراق، قال لها (يوسف) إن تهجير اليهود لم يكن سببه المسلمين وإنما هي من صنع اليهود أنفسهم ، وذلك بقوله: ((بابا موضوع اليهود غير شكل، موضوع معقد، دخلت بينو اسرائيل عالخط وحكومة العهد البائد كانت متآمرة وصار اسقاط جنسية وقصة طويلة عريضة))[78] .

كما أن أحد مظاهر الاعتراف في رواية (يا مريم) هو تحليل الواقع تحليلًا موضوعيًا ، فالهوية المهمشة التي تسعى إلى الانشقاق عن هويتها الأم ، كثيرًا ما تحاول أن تغض الطرف عن القتل الذي تتعرض له الهويات الاخرى ، فتأتي إجابة (يوسف) اعترافًا بما يجري من أحداث توزعت بعدل - غير مرغوب فيه- على طوائف الشعب الذي ذاق ويلاتها، بقوله: ما نراه من قتل للمسيحيين نجد اضعافه في صفوف المسلمين يقابله انكار (مها) بقولها فليقتلوا بعضهم .

اما (جواد) في رواية (وحدها شجرة الرمان) فقد كان مدافعًا عن الاخر وحقه في الحياة ، ولم يكن

(76) يا مريم : 25 .

(77) المصدر نفسه : 97 .

(78) المصدر نفسه : 25 .

مؤمنًا بالطائفية التي كان البعض يؤمن بها سلاحًا للرد على عدوان الآخر كما هو متوهم عند امه التي بررت تفجير جوامع السنة بقولها : ((غير من حركة كلبهم))[79]، وكانت تطلق على ابنها (جواد) تسميه محامي، فكانت مواقف (جواد) ، وتحليلاته الموضوعية تمثل موقفا انسانيًا مبني على الاعتراف بالآخر وفي حقه في الحياة .

رابعاً- اشكالية الاعتراف في روايات (سنان أنطون):

ان ما يؤخذ على الاعتراف في اعمال (سنان أنطون) يمكن تعميمه على باقي الروائيين ، بل إنه شكل ملمحًا بارزًا في أكثر الأعمال الفنية إن لم نقل كلها ، وهذا ما يمكن أن نطلق عليه (الاعتراف الزائف) الذي يلغي كل مزية للروائي، وفيه يقوم المعترف بتضييق دائرة الاعتراف وعدم شمولها لكل من أنفتح عليهم عاطفيًا واجتماعيًا وقانونيًا، فيختار للهوية التي يعترف بها شريكا في الوطن ما يلائم فكره وايديولوجيته ، ومثال هذا انفتاح (سنان أنطون) بشخصياته على المسلمين ولكن وفق شروط وضوابط - وان لم يصرح بها - ولكنها واضحة من خلال أعماله وأعمال الكثير من الادباء والفنانين، وهذه الضوابط عند (سنان أنطون) أن يكون هذا المسلم يحمل ايديولوجية يسارية، ويشرب الخمر، ويعاقر النساء ، وغير ملتزم بتعاليم الدين الاسلامي ، أما المسلم الملتزم دينيًا فهو خارج دائرة اعتراف أنطون ، ويظهر في رواياته فظًا غليظًا، ذو حاجبين متلاصقين ، وعينين غاضبتين، يحمل النوايا السيئة التي تذهب بالبلد إلى الحروب والخراب، وهذه الانتقائية في اختيار الأمثلة السيئة من المجتمع وتعميمها) على الكل؛ تذهب بالروائي إلى عكس ما أراد أن يظهر لقرائه، والحقيقة أن من شاركوا في السياسة والحكم لم يكن أغلهم اسلاميين، بل كان منهم الشيوعيين، والمسيحيين والايزيديين، والصابئة، ويظل الخير والشر مقسوم على البشر لا يقتصر على هوية دون سواها ، ولا بلد دون بلد اخر.

وثاني الإشكاليات التي وقعت فيها الرواية، إغفال السبب الحقيقي وراء الإرهاب، وعدم الإشارة إليه، إلا بشيء يسير لم يوصل الفكرة ويرسخها في ذهن القارئ ، ومن ذلك إرجاع تهجير المسيحيين إلى تقصير المسلمين في الدورة ؛ بقولهم ((ما درنا بالنا عليكم))[80] وهذا يخل بالاعتراف الحقيقي، فالذي هجر وقتل أقوى من أن يقف بوجهه افراد من المجتمع غير منظمين، وكان الأجدى بالروائي أن يوصل رسالة من خلال أعماله أن الامريكان ومن ويساندهم ، ومن له مصالح في عدم استقرار البلاد ، هم من يقفون وراء مثل هذه التنظيمات .

وثالث هذه الاشكاليات التي يعالجها الاعتراف، قضية السرديات الدينية التي تخرج الآخر من دائرة الإيمان، بمعنى أدق أن الجنة لطائفة معينة دون غيرها ، ومن المعروف ان هذه السرديات تكتسب صفة القداسة ، ومسألة التلاعب بها مستحيلة ولا تكتسب القبول والتسليم من طرف من يؤمن بها، وهنا لا بد من التفريق بين قضيتين الأولى : هي أن القول بامتلاك الحقيقة -في أمور العقيدة- أمر لا خطورة فيه، ولا يعني بالضرورة الغاء الاخر والتحامل عليه، والقضية الثانية: هي أن القول بأحادية الطريق الى الحقيقة إن لم يقترن بالاعتداء على الاخرين لا يمكن عده في اللااعتراف، بل على العكس من الاسلم التسليم بذلك للعيش في

(79) وحدها شجرة الرمان : 188.

(80) يا مريم : 121 .

سلام، والاتفاق على أن قصر الحقيقة على معتقدك الديني او ايديولوجيتك السياسية ، لا ضير فيه ولا خطر من ورائه ، إن لم يكن متبوعًا باعتداءات لفظية او فعلية كتلك التي تناولها الروائي من خلال شخصية حاتم عبدالرزاق الذي ترجمت اعتداءاته اللفظية الى قنابل صوتية بعد خطابه الذي قال فيه ((إن على اهل الذمة أن يدفعوا جزية قدرها 25 الف دولار شهريا ، أو أن يشهروا اسلامهم علنا في الجامع))[81].

أما الاشكال الرابع فهو قضية الحرب الالكترونية التي تقسم المجتمع يوميًا الى فرق متصارعة أغلبهم من المراهقين، ولتجاوز هذه الاشكالية ، يجب التأكيد قبل كل شيء على المثقف العضوي الذي ينتمي إلى ايديولوجية معينة من دون ان يلغي الآخر ويصادر حريته في التفكير، ونعيد التأكيد على أن الجزم بامتلاك الحقيقة لا يعني الاستخفاف بقناعات الاخرين، وعلى المثقفين العضويين – إن جاز لنا توسيع دلالة المصطلح واطلاقها على العقائد الدينية – أن يجعلوا صفحات التواصل الاجتماعي مجالًا عموميا كما هو عند (هابرماس) لمناقشة ضرورة تقبل الاراء الفظة والاساليب الهجومية، والتعامل معها على انها مسلمات موجودة في كل الهويات الدينية ، مع التأكيد على ان المجاهرة بها حالة مرضية تمثل اصحابها الذين يعرضونها باسلوب فض وهجومي، ولاتمت الى هوية المنتمين اليها بصلة، فإذا سلمنا بذلك واخذنا هذه المنشورات والمقاطع على انها حالة طبيعية اذا دخلت ضمن المقبول والملتزم بأخلاقيات الجدل وصراع الافكار السلمي، ومن الممكن أن تمهد الطريق لبناء دولة حديثة تحترم الاخرين، وتحافظ على حياتهم، وهذا ما نراه في دول اوربا من خلال فتح النقاش في الساحات، ولا يجرؤ أحد على المساس بالقانون والسلم الاهلي، وقد ناقش سنان أنطون هذه القضية من خلال شخصية جواد الذي أدمن دخول موقع اروك الذي وصفه بالعراق المصغر تجتمع فيه كل الافكار والمذاهب، والاصوات الوطنية والطائفية ، وما يهمنا في هذا الموقع لتحقيق الاعتراف هو ما فيه من ((كتابات عميقة وثاقبة واخرى ساخرة))[82] تفكك الواقع، وتعمل على تشجيع المجتمع على الانفتاح على الاخر، والانفتاح هذا لا يعني بالضرورة الايمان بما يعتقده، فكل منا له وجهات نظره في الحياة اليومية المغايرة لوسطه الذي يعيش فيه، الا ان ذلك لا يعني حمل العدائية تجاههم والتعدي عليهم.

وللتخلص من إشكاليات الاعتراف في الرواية والتخلص من الافق الضيق في الرؤية ، لابد من الانفتاح الحقيقي على الآخر بكامل صورته ، لا بالصورة التي نريدها عنه، وتقبل الهوية بما فيها من صفات ارتضاها اصحابها سمات لهم ، ولا نمارس عليهم الوصاية، فالحياة بتقلباتها كفيلة بتغيير القناعات، ولمناقشة هذه القضية، لابد من الإشارة إلى نظريتين الأولى (الفضاء العمومي) عند هابرماس، والنظرية الثانية المثقف العضوي، فالفضاء العمومي هو المجال الذي يتناقش فيه الناس لتبادل الافكار، والاشكاليات ، ويتسع هذا المجال ليشمل كل الاماكن العامة التي تجمع افراد المجتمع، فضلًا عن الأدب، ومنصات التواصل الاجتماعي، وقد عرفه ابراهيم الحيدري ((مفتاح الديموقراطية الذي يكون دائرة التوسط بين المجتمع المدني والدولة ، والذي يربط بين دوائر

(81) يا مريم : 120 .

(82) وحدها شجرة الرمان : 138 .

المصالح المتعددة والمتناقضة وبين دوائر الدولة ، ويجمع الافراد في راي عام مفتوح يكون وسيلة للضغط على دولة الرفاة الذي افسدته بفضل العلم والتقنية ووسائل الدعاية واللهو والتسلية، في محاولة لإعادة بناء الديموقراطية الكلاسيكية))[83] وكما رأينا في روايات (سنان أنطون) أن التواصل الاجتماعي كان سببًا في اشاعة الكره وتبادل الشتائم والتهم ، ومن الممكن أن يستثمر في توعية الشباب وتثقيفهم على تقبل الاخر، ومحاربة الصور النمطية التي تحتفظ بها كل هوية عن الهوية الأخرى ، كما رأينا في الاسئلة المزعجة التي كانت تتعرض لها (مها) من قبل المسلمين ، أو أسباب الطائفية التي يرميها كل طرف على الآخر ، والتركيز على التاريخ الذي يجمع أبناء الشعب، والابتعاد عن الحوادث التاريخية التي تفرقهم، وتحذيرهم من الانجرار وراء من يحاول أن يثير الأحقاد بين أبناء الوطن الواحد.

وهذا يجرنا إلى الحديث عن نظرية (المثقف العضوي)[84] الذي ينطلق من أيديولوجية معينة إلا أنه لا يلغي الآخر، ولا يعمل على إقصائه وتهميشه، ويحاول تغيير الواقع من خلال الفكر بعيدًا عن العنف، فالمجتمع بحاجة إلى مثقفين من هذا النوع لمد الجسور التي قطعت ، وخلق الوعي ، والدعوة الى الانضمام إلى فضاء عمومي بصفة اشخاص فاعلين ، يتركون الخلاف من اجل المستقبل ، وهذا المثقف العضوي ليس مثقفا احاديا كما في اعمال (سنان أنطون) أو غيره من الروائيين ، بل يجب ان يكون متقبلًا لكل ايديولوجيات المجتمع ، وهذا لا يعني اجبار الاديب على تغيير فكره، أو مداهنة ما يخالف معتقده أو ايديولوجيته، بقدر ما يعني الابتعاد عن أسلوب شيطنة الآخر والتحامل عليه؛ الذي يخرج الانسان من انسانيته .

النتائج :

– من الممكن قراءة الهُوية (هَوية) بفتح الهاء إذا ارجعناها لمعنى السقوط والوقوع ؛ لعلاقة هذا المعنى بالمثل العربي (الطيور على أشكالها تقع) ، فهذا الوقوع في المثل يحمل دلالة التشابه الذي يعد من أهم أركان الهوية التي تقوم على المشابهة والاختلاف .

– كان للهوية في روايات (سنان أنطون) تمثلات عدة ، مثَّل أبطالها (الهوية الوطنية) وكان حضورها في المشهد الروائي والاجتماعي تفكيكيًا يفكك الاشكاليات التي تثيرها الهويات، وحجاجيًا يوظف الادلة للرد على الخطاب الطائفي ودحضه .

– كان الابطال في رواياته علمانيين، والشخصيات السلبية تنتمي الى الاسلاميين والمحافظين، وهذا ما يخل بالاعتراف الذي تنشده رواية ما بعد الحداثة التي تنفتح على الجميع وتتقبل كل الآراء ، كما أن هذا الموقف يرفضه المنطق الذي يرفض تعميم الاحكام .

– من الهويات التي مثلها (سنان أنطون) في رواياته الهوية المهمشة والمضطهدة، وقد تمثل التهميش في طمس الهوية، وناقش البحث خطورة طمس الهوية على المجتمع بقضائه على الاختلاف والتنوع الضروريان لمجتمع صحي، كما ناقش تقييد الحريات الذي تتعرض له الهويات المهمشة، اما الاضطهاد فقد تمثل في قسمين الاول اضطهاد بالاعتداء اللفظي (التهديد) والاتهام (بالخيانة) ،

(83) النقد بين الحداثة وما بعد الحداثة ، ابراهيم الحيدري، دار الساقي ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2013 : 274 .

(84) ينظر : قضايا المادية التاريخية، انطون غرامشي ، تر: فواز طرابلسي، منشورات المتوسط، بغداد ، ط2 ، 2018 : 142 ، 143.

اما الفعلي فقد تمثل بالتهجير والقتل ، كما ناقش البحث التداعيات النفسية التي يتركها التهميش على نفسية المهمش ومنها (تضخيم الاحداث) وتفسيرها تفسيرًا غير واقعي ، وعدم رؤية الايجابيات في الجانب الآخر، واغضاء الطرف عن المصائب التي تلحق به، كما ناقش ظاهرة انشقاق الهوية المهمشة عن الهوية الام .

– من تمثلات الهوية في روايات سنان أنطون (الهوية المضادة) التي تحتفظ للآخر صورا نمطية، وقد عبرت عن كرهها للآخر بالتصريح مرة كاستخدام مصطلح (الشراكوة)، وبالتعبير الضمني مرة اخرى، كما فعلت (مها) في رواية (يا مريم) عندما اطلقت على المعممين بانهم غاضبين وحواجبهم متلاصقة وغيرها من الصور النمطية، كما ناقشت قضية الانغلاق على الاخر واضراراه الاجتماعية بما تفضي اليه من كره ، وانقطاع للتواصل بين شرائح المجتمع ، كما ان هناك صورًا لم يكن الروائي موفقًا في اثارتها لتعارضها مع الواقع من ذاك قضية عدم تزويج المسيحيين المقيدة بنصوص شرعية وقانونية، فضلًا عن أنها لا تعبر عن الكره والعداء للاخر.

– الاعتراف موضوع غاية في الاهمية لما له من اثر في تحقيق الترابط الاجتماعي ، فالاعتراف يبدأ من الحب في عيون الاخرين الذي يعني تقبل الاختلاف، وخلاف ذلك فقد يفقد الاقليات الاحساس بالأمان، ويشعرهم بأنهم غير مرغوب فيهم في بلدهم ، كما ان الاعتراف القانوني غاية في الاهمية؛ فمنه يشعر الانسان انه يقف امام القانون على حد سواء مع غيره من ابناء الوطن الواحد ، ويشاركهم في بنائه وصناعة تاريخه ، أما الاعتراف الاجتماعي فهو ثمر الاعتراف بالحب، الذي يجعل هويات المجتمع تشترك مع بعضها في العلاقات الاجتماعية على اساس الاحترام والحب، بما يحقق القيمة الاجتماعية.

– اقترح البحث مصطلح الاعتراف الموضوعي للدلالة على الاعتراف الذي ينصف فيه الأنا الآخر، وتطرقنا لأهميته في القضاء على التحامل الذي ينتج لأسباب تحريضية من قبل بعض الجهات التي تنتمي الى هذه الهوية او تلك ، كما أن للاعتراف الموضوعي دوره في رفض الصور النمطية للآخر .

– ناقش البحث اهمية الفضاء العمومي والمثقف العضوي في مناقشة اشكاليات الهويات ، وتفكيكها، والوصول الى اعلى درجات السلم الاجتماعي في جو تسود فيه الحرية والطمأنينة .

– اقترح البحث مصطلح (الاعتراف الزائف) عند (سنان أنطون) الذي يكون ظاهره الاعتراف وباطنه الاقصاء والانكار ، وفيه يقوم المعترف بتضييق دائرة الاعتراف وعدم شمولها لكل من أنفتح عليهم عاطفيًا واجتماعيًا وقانونيًا ، فيختار للهوية التي يعترف بها شريكا في الوطن ما يلائم فكره وايديولوجيته ، ويقصي منها السواد الاعظم الذي لا يتلاءم مع ميوله وافكاره .

المصادر والمراجع :

- (إعجام) ، (سنان أنطون)، منشورات الجمل ، ط1 ، 2013 .
- (فهرس) ، (سنان أنطون)، منشورات الجمل ، بيروت – بغداد ، ط1 ، 2016 .
- الاعتراف، من أجل مفهوم جديد للعدل (دراسة في الفلسفة الاجتماعية) ، الزواوي بغوره، تقديم: فهمي جدعان، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت .
- الجغرافيا البشرية (أهمية الجغرافيا في تفسير الظواهر البشرية) ، مايك كرانغ ، تر: سعيد منتاق، عالم المعرفة ، الكويت .
- الصراع من اجل الاعتراف (القواعد الاخلاقية للمآزم الاجتماعية) ، اكسل هونيث ، تعريب : جورج كتورة ، المكتبة الشرقية، بيروت ، لبنان، ط1، 2015 .
- قضايا المادية التاريخية ، انطون غرامشي ، تر : فواز طرابلسي ، منشورات المتوسط، بغداد ، ط2، 2018
- لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقى (ت 711هـ)، دار صادر – بيروت، ط3 1414، ج 15 .
- مخاطر العولمة على الهوِيَّة الثقافية ، محمد عمارة، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1999.
- النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت (من ماكس هوركهايمر الى أكسل هونيث)، د.كمال بومنير ، الدار العربية للعلوم ناشرون ،لبنان، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1 ، 2010 .
- النقد بين الحداثة وما بعد الحداثة ، ابراهيم الحيدري ، دار الساقي ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2013 .
- الهوية الاسلامية، الشيخ الدكتور: جاسم بن محمد بن المهلهل الياسين، شركة السماحة للطباعة والنشر والتوزيع، الكويت، ط1، 2012.
- وحدها شجرة الرمان، (سنان أنطون)، منشورات الجمل، بيروت–بغداد، ط1، 2013.
- يا مريم ، (سنان أنطون)، منشورات الجمل ، بيروت ، ط1، 2012 .